

حاجتنا إلى المرأة

في إنشاء العمل الاجتماعي الكبير
بقلم الدكتور محمد عبد المنعم رياض يك
القاضي بحكمة مصر المختلطة

كثيرا ما تناول الكتاب واجبات المرأة بالبحث والجدال ، وتساءلوا أيحى أن يحيا المرأة حياة الرجل أم تظل منهمكة بمنزلة معنية بزوجها وأولادها . كما تساءلوا أمى تفوق الرجل أم تقل عنه ؟ ولسوف يتداولون الرأى ولا شك طويلا في هذا الموضوع .
أما أنا فتخالبنى نقه لا حد لها بالمرأة وبقدرتها على نشر ألوية السعادة حولها ، وليس محلها في صرف مزاوله الأعمال أو القيام بشؤون المكاتب ، بل محلها في منزلها أولا وفي مهمتها الاجتماعية ثانيا . فللمرأة حيث كانت رسالة سامية تؤديها ولا سيما في مصر المفتقرة الى الخدمة الاجتماعية .

وإن الاصلاح الاجتماعى الذى تحتاج اليه مصر ان يزدتره ويؤتى أكله إلا إذا تسلمت مقاليد المرأة المصرية . فإ أعظم سلطان المرأة في معناها ومكتنفها ! ولقد كنت عنيت بدراسة تطوع المرأة للخدمة الاجتماعية دراسة خاصة لما كنت السكرتير العام لوزارة الشؤون الاجتماعية ، واهتممت كل الاهتمام بمدارس الخدمة الاجتماعية بالقاهرة والاسكندرية حيث تتدرب الفتيات والسيدات على النهوض بالعمل الاجتماعى فى شتى حلباته ، كإدارة الملاجئ ومعاهد الأطفال ، والعناية بالمنزل ونظافته وجماله ، وحيث تفرس في نفس المرأة الكياسة لتكون أهلا لتغلب على جميع مشكلات الأسر ولتوطد أركان المحبة والسعادة بما لها من نفوذ فعال واسع المدى فى كل مكان تغشاه .

ويخيل إلى أنه لو ألفت لجنة من السيدات تنظلمها رعاية سامية بلجات بالمعجزات ، ولحدت بها وسائل التشجيع العالى إلى أن تتخذ لها الفروع فى جميع الأحياء ، بل فى كل مجموعة من المنازل وفى كل حى وفى كل شارع . فالمرأة أعمق أثرا عند ما تبذل النصيح والمشورة لمن تعرف من جاراتها دون تطفل أو فضول . وسرعان عندئذ ما يسود المنازل ما يجب أن يسودها من النظام والنظافة والصحة وبراءة الحياة العائلية ولو على سبيل المحاكاة .

وعلى تلك اللجنة أن تضع برنامجا اجتماعيا واسع النطاق تتناول فيه العناية بالشوارع والمنازل والأطفال والشيوخ والمرضى والحوامل والتربية العامة والنظافة والتدبير المنزلى .

أما فى الأرياف والقرى — وميدان العمل متسع فيها جدا — فقد تستطيع هذه اللجنة أن توفر للفلاح حياة جديرة بالانسان ، وذلك بأن تتصل بالعمدة ليقوم بمساعدتها فى عملها

الاجتماعى . وعلى كل لجنة فى حى أو قرية أن تدرس حاجات من تعنى بهم وتدير لمساعدتهم المال اللازم . فلو تعاون الجميع حسب مختلف وسائلهم لتضاءلت النفقات ولا استطاعت المرأة أن تستندى أكف الأغنياء وتمجهم على البذل والعطاء .

والواقع أن نظام المغايضة يجب أن يعم الطبقة الفقيرة . فما أعظم النتائج التى يحصل عليها لو تعاون البناء والتجار وغيرهما فى بناء الدويرات التى يستفيد منها الجميع وأشرفت النساء على ذلك العمل وقادته مسترشدة بما تعرفه من حاجات الأسر .

ولو عمد الجميع ، رجالا وصبياناً ، الى العمل فى أوقات الفراغ والبطالة ، وفى الفترات التى لا تتطلب الأرض فيها عملاً كثيراً ، وفى أوقات العطلة بالمدن ، لظفرت كل قرية بأسة بمحامات عامة وأندية ومجامع ألعاب ، ولتوزع العمل بين النساء كل على قدر طاقتها واستعدادها : فهذه جماعة منهن تعنى بفسيل الأسرة ، وتلك تصلحه ، وأخرى تعجن وتخبز ، وسواها تهتم بالمنزل وحديقته كما لو كان ملكها الخاص ، ولأخذت أذكارهن فؤادا تراقب الصحة العامة وترسل فى الوقت الملائم الى المستشفيات والعيادات ما يتيسر إرساله من المرضى والجرحى والمسلولين فتتقذ بذلك كثيرا من النفوس البريئة .

إن مشاريع الإصلاح الرسمية الكبرى تستشرف العالمى من الأمور، وقالما تنجح الحكومة فيه أو تنهه ، وذلك لما يتطلبه من مال وافر ورجال متخصصين ، ولن تتوافر للحكومة أبدا الموارد اللازمة لمواجهة هذه المشاريع إذ ليس ذلك مما يستطيع أن يتفرغ له موظفوها . لنبدأ أولا بتربية أكبر عدد ممكن من النساء وتوجيههن الى الهدف الاجتماعى ، فستفيد المرأة هى نفسها كما يستفيد غيرها من هذه التربية التى تنتشأها من وهدة الكسل وتوفر لها عملاً وغاية فى الحياة تستعيض بهما عن الالهو والثروة .

ولست أعنى أن تقوم السيدات بإنشاء مؤسسة جديدة على غرار المؤسسات الخيرية القائمة فى البلاد ، فحاجتنا الى تنظيم المؤسسات الموجودة أسس منها الى ايجاد مؤسسات جديدة . ومن أهم وسائل التنظيم أن توحد المؤسسات التى تقوم بعمل متشابه ، وأن يعمد الى إنارة اهتمام المحسنين لهذه المؤسسات حتى يكونوا على بينة من العمل الذى تؤديه والذى يبذلون له المال .

واللجنة العامة التى أشير إليها هى أجدر من يضطلع بالرقابة العليا على الأعمال الخيرية والجهود المنتشرة والعمل على تنسيقها وانسجامها وزيادة اهتمام الناس بشؤونها .

ولما كان القيام بإصلاح اجتماعى كهذا يتطلب وقتا لتجنى غراسه ، فيجب أن يبدأ فى لم شعث نخبة من السيدات على جانب من التربية الاجتماعية تأخذ كل واحدة منهن على عاتقها تربية بنتها وجيرانها ومن حولها من الصديقات ، ثم تنهض كل واحدة من

هؤلاء الى النسيج على منوال من أخذت عنها تلك التريبة ، وهكذا دواليك حتى تسع الحلقة . ويقينى أن هذه الحركة ستتسع ولو أنه سيقتور تقدمها بعض العقبات التي أرجو أن تتمكن من التغلب عليها .

ومن أهم ما يجب أن تدركه السيدة معرفة ما هو الاحسان، وما هي حجة القريب، وكيف يعود الخير على صاحبه، وكيف تعوض تلك التضحيات الضئيلة التي تبذل في سبيل اسعاد الغير آلاف الأضعاف بما يشعر به المرء من غبطة وارتياح لقيامه بها . ولعمري ما الذى تتكلفه المرأة مثلا في الامتناع عن الاسراف ، أو في العناية بالثياب القديمة وتنظيفها ورفوها وكياها ثم في التصديق بها على من يكون في حاجة اليها ؟ وما الذى تتكلفه إذا هي لم ترم رمي النواة لعب الأطفال البائسة أو المكسورة، وإذا هي فرقها على الصغار الفقراء الذين يفرحون بهذه اللعب وليس لهم ما يلعبون به أو يلعبون ؟ .

وفي المواسم والأعياد كم تسرف الأسر في المأكول والحلوى مع أنها لو قامت بشيء من التدبير والنظام لو فرت نصيبا منها للفقير ؟ .

والمآدب؟ أليست مصدر المتعة والغبطة للكثيرين؟ فما ضر لو أقيمت مآدب للحرورين وتبرعت كل سيدة بلون من ألوان الطعام فيها؟ إنا لا نخال في ذلك إرهاقا لها أو تجاوزا للطاقة .

والحفلات الشعبية ؟ هل يفكر أحد ممن يقتلون في المواسم من حفلة الى أخرى أن يعنى بإقامة حفلات للحتاجين من أفراد الشعب الذين يقضون أكثر أيامهم في عمل شاق وجهد مضن لا متعة فيه ولا رفاحية ؟ ألا إن في مقدور كل لجنة أن تنشئ مدرسة عملية أو ملجأ صغيرا في حيها . أو أن تهتم بالمتشردين الأحداث في المنطقة التي تسرف عليها ، فنلتقط من يخرج من دور الإصلاح منهم وتتقدمهم من الحمأة التي يوشكون أن يتردوا فيها ، وتستطيع في هذا الباب كل لجنة فرعية أن تعتمد على اللجنة العامة لما لأعضائها من شخصية ونفوذ .

ولا سبيل إلى مطالبة الحكومة بالبدء بهذه الجهود المتنوعة المختلفة ، فهمة الحكومة أن تتدخل في آخر الأمر عندما تسير القافلة فتخصصها بعونها سواء بالإعانات المالية أو بإمدادها بأطبائها وممرضاتها وخدماتها .

والصعب في ذلك كله هو البدء في السير، ولا نظنه يتطلب يد الرجل القوية ، فيد المرأة المعفمة بالشجاعة وكرم النفس والأثر الفعال كفيلا بأن تلمس ذلك المشروع فينبثق منه النور، فهو لا يحتاج إلا إلى يد كريمة يدين لها الجميع بالحب والاحترام والإجلال .

فأحجب بذلك اليوم الذى تسير فيه قافلة العمل الاجتماعى الى خير مصر، وأجل به تذكارا نبيلاً يحيى فيه القوم ميلاد مشروع وطنى عظيم !

محمد عبد المنعم رياض